حديث الروح

سحبتْ المقعد الخشبي، وجلست تنظر لحديقة منزلها، التي ماعاد بها سوى شجرة واحدة، وبعض العشب الذي جفَّ أغلبه ظمأً لطول غيابها. تداعب وجهها نسمة ربيعية حانية.

جلستْ تحادث نفسها التي باغاتتها بالسؤال: من تكوني أنت؟

- أنا؟ بت لا تتعرفين عليّ؟ أنا أمٌّ لزهرات عمري، أطعمتهم حبًّا وكفيتهم حنانا.. تسمعت لهم بقلب محب، تابعتهم يزهرون أمامي، لم يجهدونني، ولم أكن سببا يوما في تعاسة أحدهم.

- لا يكفنى ماتقولينه.. أغلب النساء فعلن مافعلتِ.. من أنت الآن؟

- كنتُ أعمل طوال الوقت، وكنت مجتهدة في عملي ، ومع من أعمل معهم.. أحبوني وأحببتهم، لكن أغلبهم كانوا يستكثرون علي مجرد محاولتي للاستمتاع بحريتي، وأنا أيضا كنت أستهجن نمطية حيواتهم.. نساء متشابهات في كل الأداءات، ورجال يحملون نفس نوعية التفكير الضيقة الأفق، لكني أبدا لم أبح لهم برأبي هذا.

- لازلت تتهربين.. سأغير السؤال إذن، ماذا تريدين من حياتك؟

زفرتْ عميقا وببطء، وأسندت رأسها على ذراعها المثني على سور الشرفة، وأغمضت عينيها. وأحست رغم ذلك بأن ملامح وجهها، قد تجمعت بأسى في منتصفه، وكأنها تستغرب أنها لم تسأل نفسها هذا السؤال من قبل .

تدرك أن التساؤل يحوم حول أشواقها في الحياة، أليس لها أشواق؟ رغبات؟ سلم أولوياتها.. مُزدحم بأشياء كثيرة دونها.

أثر تنهيدة أوجعتها ، غفت ، بعد ثوان تخيلته يقف أمامها في حديقة المنزل الصغيرة نظرت إليه في دهشة، فبادر دهشتها بقوله، وأنا أيضا كنت أنتظرك نفس عديد سنين انتظارك سيدتي، مليكتي ، لازلت لك نفس الملامح ندية.. لا زلت نفس قوامك وحزنك وجراح زمنك الماضي.. كنت فقط أنتظر حضور اللحظة، لحظة البوح.. الآن أنا أتملك مقودها.. تتماوج أمامي كلماتي واضحة أحيانا، وشبحية أحبانا أخرى.. أراها أمامي منثورة بلا نظام، وكأن المدار ماعاد يخضع للجاذبية.. هي أمامك الآن، متوهجة بلا ترتيب، تتراقص ممتنة للبوح

كي يفكّ أسْرها. الآن روحي تتراقص مثل تلك الكلمات، وتتوهج أيضا مثلها ،لا أخفي عليك كلما لمحتك ذُبت شوقا وتراقصت روحي.. أتوق شوقا لضمِّك ياحبيبتي، أشرب خمر دفئك وأذوب.

تتسمع له صامتة، وهو يكمل:

- تهربين من الاعتراف بأشواقك؟فكيف ستواجهينها إذن؟.

قالت : ربما الوقت قد تأخر لإيقاظها، فقد أجبرتها دوما على السكون فاعتادت الطاعة وأدمنت السكون...

- تعنين أنني قد تأخرت في المجيئ؟.. فكما حارت الجاذبية في ترتيب كلماتي، فهي أيضا سوف تساعدك في فك أسْر أشواقك، وفي لملمة نفسك وتصالحكما معا.. مليكتي.

أمسكَ بيديها، ووقفا سويا ، وجها عاشقا لوجه، يبتسمان رغم الدمع الصامت.

قال: لنعيد الحياة لحديقتك نملأها أزهار عطرية، ونباتات يدوم ازدهارها، نُسقيها همسا وحبا وحياة، تكون لها مثلنا كل المواسم ما أعدكُ به ليست أشياء كثيرة، ولا مستحيلة، يدي الحنون لن تترك

كفك، سنسير دوما لنفس الوجهة فتعلقي بحلمك كما تتعلقين بكفي الآن.

مطوقة هي الآن بذراعيه يطيرا نحو نجمات تتلألأ، وتتسارع دقات قلبيهما.

تساءلت : أبسبب عذا اللقاء؟ أم خوف مما قد يأتي؟

تفيق، ورغما عنها يتردد صدى كلماته في أذنيها عاليا، قال – اِلقِ بخوفك بعيدا حتى تتضح لك ملامح روحك، اسبحي معي بعيدا في فضاء لا محدود.. نسبح معا، أو نطير كفراشتين في سماء الحب، فتتصالحين مع روحك تلك التي أهملتِها.. ستعودين كما كنتِ وأحسن، فالمنافي التي نخلقها لأنفسنا لاتدوم إلى الابد، والطائر لابد يرجع نحو وطنه، مُتَّبعا بوصلة ربانية شفافة.. ستعودين.. ستعودين. نهضتْ، تتسع ابتسامتها لهذه البشرى، ترتحل بناظريها في رحلةٍ ليلية صامتة، حول النوافذ المضاءة، حول بيتها، تزخر بالونس.

أخذتْ شهيقا مريحا: كيف يُحتسب المَرء حيًّا لمجرد أنه يتنفس، ولم يسجل اسمه في صحائف الراحلين..؟!